الصحافة فى الميثاق الصهيونى

للأســـتاذ نقولا الحداد

قرأت أخيراً أن فى العراق حركة صحفية هائلة ؛ فقد صدرت تصريحات لجرائد جديدة عديدة ، وأنبئنا بصراحة أن لليهود نفوذاً كبيراً فيها . وإذا كان اليهود قد مدوا أنوفهم للجرائد العراقية فلا بدع أن يفعلوا هنا فى مصر أكثر من هذا وأجهر . عندنا هنا أربع جرائد أفرنجية صهيونية ، ومجلة عربية شهرية . وفى كل جريدة من جرائدنا المحلية العربية صهيونى أو أكثر يسيطر عليها لقاء خدمة اقتصادية هى استجداء الإعلانات لها من أرباب المصالح اليهودية عن يد شركة الإعلانات الشرقية وهى صهيونية

وقيل لنا بالأمس إن إحدى جرائدنا الكبرى قد باعت ٤٩ بالمئة من قيمتها لشركة الإعلانات الشرقية ، وما بقى منها إلا اثنان بالمئة لكى تتحول السيطرة القانونية عليها إلى الشركة المذكورة ، ولكن الشركة لا تعجز عن الحصول عليها بأية الطرق ، فيصبح عنق تلك الجريدة الموقرة تحت نير الصهيونية تفلح به الدعاية الصهيونية على كيفها . ثم ما لبثنا أن قيل لنا إن الجريدة نفسها اشترت الشركة كلها . ثم قيل لنا إن الجريدة والشركة اندمجتا معاً فى شركة واحدة ، ولا اعتبار لأى الفريقين أثقل يداً فى الشركة المزدوجة ، لأن الموظفين الذين كانوا يديرون الحركة فى شركة الإعلانات لا يزالون فيها وكلهم يهود . فهى شركة محايدة صورياً وصهيونية فعلا . كل هذا لا يهمنا كثيراً إلا أننا نعلم أن الصهيونيين بسطوا يدهم على رأس الصحافة العربية المصرية . حدث هذا فى الوقت الذى نسخط فيه على الصحافة الأميركية التى أصبحت تحت سلطان الصهيونيين وصار الرأى العام الأميركى للمئة وخمسة وثلاثين مليوناً من الأميركان بقيادة الصهيونيين . فإذا بقيت أصابع الأخطبوط الصهيونى تتغلغل فى الرأى العام العربى أصبح العرب خضماً وسجداً عقلا وإحساساً واقتصاداً للنفوذ الصهيونى

وإليك الميثاق الثانى عشر من برنامج الصهيونيين فى الصحافة :

البند الأول : إن كلمة « حرية » التى تفسر تفسيرات مختلفة نحن نفسرها هكذا :

البند ٢ — الحرية هى أن يكون لك الحق أن تفعل ما يخوله لك القانون . إن هذا التفسير يكون فى أكثر الأحيان العادية خادماً لنا لأن القانون فى يدنا بل نحن القانون . القانون ينفى أو يثبت ما نحن راغبون فيه طبقاً لبرنامجنا . فإذاً الحرية بأى معنى تكون فى يدنا .

البند ٣ — تستخدم الصحافة هكذا :

ما هو الدور الذى تلعبه الصحافة اليوم ؟ الصحافة تثير العواطف التى تقتضيها غايتنا ، وتهيج الإحساسات التى تخدم أنانية الأحزاب وغاياتها . والجمهور لا يعلم ولا يفهم ماذا تخدم الصحافة من الأغراض الحزبية السخيفة التافهة الباردة . نحن نسرج الشعب ونلقى على ظهره البرذعة — وكذا تفعل بحاصلات المطابع والصحافة . وإلا فكيف نرد هجمات الصحافة إذا كنا أهدافاً للكتب والرسالات التى تهاجمنا ؟ إن نتاج الدعايات التى تستوجب النفقات الثقيلة بسبب ضرورة الرقابة عليها ستكون مورداً كبيراً لدولتنا لأننا سنفرض عليها ضريبة طوابع خاصة ونطلب من أصحابها ضمانات مالية قبل أن تصدر ، ورخصة لكل صحيفة ومطبعة ، وهذا الإجراء يكون ضمانة لحكومتنا ضد كل هجوم عليها من قبل الصحافة والطباعة . لأننا فى محاولة كل هجوم نضرب غرامة ثقيلة بلا رحمة ولا شفقة . ولا يخفى أن الأحزاب لا تبخل على الجرائد بالنفقات اللازمة لها لأجل الدعاية . وإنما يمكننا أن نثقل أفواه هذه الدعايات ضدنا عند ثانى هجوم تهجمه علينا ؛ وذلك بمعاقبتها بالغرامة الثقيلة

فالجامعة العربية اليوم فى ميزان الأقدار وامتحان الشدائد ؛ فإذا رجحت كفتها على اليهودية رجحت فى كل أمة ، وإذا ثبت معدتها على المحك فى هذه الأزمة ثبت فى كل أزمة .

إن مستقبلنا رهن بهذه المعركة ؛ فإذا كسبناها كسبنا كل ما نبغى ، وإذا خسرناها خسرنا كل ما نملك . ذلك لأن اليهود لا يستطيعون أن يقيموا لهم دولة فى فلسطين إلا على عمد من الجبهة الغربية أو الجبهة الشرقية . وأيًّا ما تكن هذه العمد فإنها التدمير والتكفير والفوضى إذا كانت شيوعية ، وإنها الاستعمار والاستئثار والبلوى إذا كانت رأسمالية .

أحمد حسن الزيات

لا أحد يجرأ أن يضع أصبعه على فم معصومية حكومتنا ، وعندنا عذر لإغلاق أية جريدة أو مطبعة ، وهي أننا ندعي أن الجريدة تقلق الرأى العام وتهيجه بلا مبرر .

(يقول خطيب جلسة الحكماء) — أرجو أن تلاحظوا أن يكون لهؤلاء المهاجين لنا محررون لجرائد نحن أنشأناها ولكنها لا تهاجم إلا نقطاً فى سياستنا وإجراآتنا . كنا قبلا قد قررنا تنقيحها وتغييرها ، فكأنها تهاجم الريح .

البند ٤ — لا يذاع على الجمهور أية إذاعة إلا بإرادتنا وتحت سيطرتنا . إن الأنباء والمنشورات حتى اليوم هى تحت سيطرتنا ، لأن جميع أنباء العالم مركزة فى مراكز خاصة تتهافت إليها الأخبار من جميع أقاصى الأرض وتتوزع منها إلى جميع أنحاء العالم ، وجميع وكالات هذه المراكز فى أيدينا فتذيع ما نمليه نحن عليها .

(يمكنك أن تقول إن هذا هو الحاصل اليوم) .

البند ٦ — فلنوجه الآن أنظارنا إلى مستقبل الصحافة : كل من يرغب أن يكون ناشراً أو كاتباً أو طابعاً يجب أن يكون حاصلا على دبلوم من جامعة أو مدرسة مختصة بتخريج الناشرين والكتاب . وبحسب قانون هذا الدبلوم يمنع الناشر من النشر عند أول خطأ يرتكبه . هذه التدابير تكون وسيلة ثقافية فى أيدى حكومتنا التى لا تسمح للجمهور أن يقاد فى غير الطريق الذى نرسمه نحن إلى بركات النجاح . هل يوجد واحد منا يجهل أن هذه البركات الخيالية هى السبيل المؤدى رأساً إلى المتخيلات التى تلد علائق الفوضوية بين الناس وبينهم وبين الحكومة ؛ لأن الرق أو تصور الرق يدخل إلى الحكومة فكرة التحرير ، ولكنه يعجز عن إقامة حدود للتحرر ، وجميع الذين يدعون أنهم أحرار هم فوضويون ولو بالفكر ، وكل واحد منهم يحاول أن يتصيد طيف الحرية ، ويقع فى فوضى الاحتجاج على تقييد الحرية لا لغرض سوى حب الاحتجاج لا لأجل التحرير .

البند ٧ — نأتى الآن إلى المطبوعات الدورية . فهذه سنفرض عليها وعلى كل مطبوعة ضرائب بوضع طوابع على كل صفحة ، ونفرض أيضاً ضمانة مالية . والكتب التى تقل عن ٣٠ صفحة تضاعف الضريبة عليها ونعتبرها كراريس ؛ أولا لكى يقل عدد الكراريس والمجلات التى هى أردأ المطبوعات السامة . وثانياً لكى يوجب هذا التدبير على الكتاب أن يتوسعوا فى الكتابة وتكون كتبهم كثيرة لكى يتجنبوا عبء الضريبة . فيقل قراؤهم ، وفى الوقت نفسه نجعل مطبوعاتنا التى نؤثر بها على عقلية الجمهور رخيصة فى متناول كل واحد لكى يقرأ بنهم وشوق . لأن الضريبة تقلل الطموح الأدبى وتخور عزيمة الكتاب . وتقل القراءات بجعل أرباب القلم معتمدين علينا ، وإذا قام بعض الكتاب يكتبون ضدنا فلا يجدون من يطبع لهم . وعلى الناشر أو الطابع أن يحصل على إذن للطبع والنشر . وهكذا يتيسر لنا أن نعرف نيات أضدادنا فنصدها ولو بحجج واهية .

البند ٩ — الأدب والصحافة هما أهم القوى الثقافية . ولذلك ستملك حكومتنا أقوى الجرائد والمجلات ، وهذه تخمد أنفاس كل نفوذ لكل صحيفة مستقلة تنشر أموراً ضدنا ، وبالتالى تملك بتأثير جرائدنا كل تأثير على الرأى العام . وإذا منحنا رخصا لعشر جرائد يجب أن يكون لنا ثلاثون جريدة وعلى هذه النسبة تكون الصحف المستقلة . وهذا التدبير لا يثير شهية الشعب ضدنا ، ولا سيما إذا جعلنا بعض الجرائد التى نصدرها معارضة فى الظاهر لنا فتكثر ثقة الشعب بها ، وإنما تكون المعارضة فى السطحيات . ولذلك تقوى ثقة الشعب بنا نحن أيضاً ، وتدفع إلى يدنا الخصوم المعارضين الذين يشتبهون بمقاصدنا ، ويقعون فى فخاخنا ولا ضرر منهم لنا .

البند ١٢ — تكون جرائدنا من كل لون : ارستقراطية جمهورية ثورية حتى فوضوية بحسب مقتضى الحال ؛ ويكون لها يد فى كل رأى عام . فإذا نبض نابض فى إحدى هذه الأيدى المحركة يقود الرأى العام فى اتجاه مقاصدنا . لأن الضعيف المنفعل ينفذ قوة الحكم ويذعن إلى أية إشارة منا . وهؤلاء القوم المغفلون الذين يظنون أنهم مرددون رأى جرائدهم ، يرددون بالفعل الرأى الذى نحن نرغب فيه ، ويظنون عبثاً أنهم يتبعون رأى جرائدهم ولكنهم بالحقيقة سائرون فى ظل رايتنا .

البند ١٤ — إن مهاجمة خصومنا لنا تخدم أغراضنا من جهات أخرى ، وهى أن رعايانا يقتنعون ويعتقدون أنهم حاصلون على ملء الحرية فى الكلام والنشر ، وهكذا يتحول أنصارنا إلى اليقين بأن جميع الجرائد المخالفة لنا ليست إلا فقاقيع فارغة لأنها غير قادرة على أن تجد أثراً جوهرياً فى مخالفتها لآرائنا .

البند ١٥ — إن قواعد التنظيم التى لا تراها أعين الجمهور هى من أضمن الوسائل لكسب ثقة الجمهور إلى جانب حكومتنا .

إن هذه الطرق تجعلنا من حين إلى آخر فى مركز يجعلنا قادرين على أن نثير العقل الاجتماعى أو أن نهدئه فى المسائل السياسية حسب رغبتنا ، فنقنعه أو نشوش عليه أو نضعضعه . فالآن الصدق ، وغداً الكذب . ننشر الحقائق ثم ننشر ما يخالفها ، نفعل هذا حسب مقتضى المصلحة ، نفعله بكل حذر ؛ نجس الأرض قبل أن نضع أقدامنا . سيكون لنا نصر مبين على خصومنا أو معارضينا لأنهم لا يملكون جرائد تستطيع أن تعطى التعبير الصحيح عن آرائهم بسبب خطتنا فى معاملة الصحافة ، ولذلك لا نضطر أن نجحدها إلا جحداً سطحياً وهم يظنون أنهم يتمتعون بحرية الصحافة .

الملخص : النفاق فى مذهب الصهيونيين هو ماح الصحافة وبهارها بل هو « شطتها » أيضاً . هو البهار الذى يشهى القراء للقراءة . فلذلك ترى الجرائد مبتلاة بالأخبار الكاذبة فلا تدرى إن كان الخبر الذى تقرأه صادقاً أو كاذباً ، وشركات الأخبار مبتلاة بسيطرة الصهيونيين عليها كبلوى الجرائد . تقرأ اليوم خبراً فتصدقه لأنه معقول فلا يشعرك بشىء فيه ، ثم لا تلبث أن تقرأ غداً نقيضه أو تكذيباً له . ولا يمكن جمهور القراء أن يشكوا فى صدق ما يقرأون وإلا فلا يصدقون خبراً . لا يمكنهم أن يميزوا بين الخبر الصادق والخبر الكاذب ؛ لأنه ليس فى ما ينشر شبهة تضلل الظن . إن اختلاق الأخبار وتمويجها هو سجية فى الصهيونيين يستغلونها لأغراض شيطانية لا تنكشف إلا بعد حين ، وقد تقرأ خبراً ضد مصلحتهم فلا تلبث أن ترى أنه كاذب ولكنه نفعهم) .

(منذ صارت قضية فلسطين فى هيئة الأمم كانوا يذيعون أن عندهم جيشاً من الهاجاناه يبلغ ٨٠ ألفاً . ولما جاء دور القتال لم يظهر عندهم أكثر من ٨٠٠ جندى . فكانوا كلما وقعوا فى ورطة مع العرب يهرعون إلى الجيش البريطانى لكى ينجدهم . ولما بدت مسألة التقسيم وشعروا أن العرب متحفزون للدفاع أذاعوا أنهم طلبوا من أميركا ٤٧٢ مليون دولار وستأتيهم تواً ، فما أتاهم شىء . ثم أذاعوا أن القائد الكبير فوزى بك القاوقجى قتل فى معركة فاصلة . فما لبث القاوقجى أن أذاع فى الراديو أنه يفقأ حصرمة فى عيونهم . وهكذا لهم كل يوم كتاب من الأكاذيب فى الجرائد والمجلات والأنباء التلغرافية التى فى حوزتهم . فيجب الحذر من قبول الأخبار) .

البند ١٧ يشرح التعليمات للصحافة من حيث ارتباطها بأسرار الماسونية التى لا يباح بها ، وكل صحافى مقيد بأسرارها كأنها أسرار المهنة ، وكل فرد من الصحفيين يخشى أن يبوح بسر لئلا يتهم بفضيحة ، وما من أحد خال من فضيحة .

البند ١٨ — فحواه أنه لا بد من إلهاب عقليات أهل الأقاليم عند ضرورة التأثير فى العاصمة ، ومصدر هذه التهيجات فى كل حال يكون « نحن » على قصد أن الرأى الذى قبل فى العاصمة يكون حائزاً لتأييد الأقاليم .

البند ١٩ — حين نكون فى فترة الانتقال من الحكم القديم إلى حكمنا الجديد أى إلى ما نظفر به من السيادة يجب أن لا نسلم بما نقلته الصحف من خيانة أحد من الشعب . يجب أن يكون نوع الحكم الجديد رضى كل فرد من الناس . يجب أن يرى فيه الشعب أمانيه محققة وأن الاجرام قد زال . ويجب أن يقتصر البلاغ على المجنى عليه والشهود فقط . بمعنى أن لا تنشر الجرائد أخبار الجرائم لكى يقتنع الشعب أن الأمن مستتب تمام الاستتباب

هذا ملخص الميثاق الثانى عشر عن الصحافة ، وإلى الملتقى مع القراء فى حين آخر .

هامش : قرأنا أن معظم عرب حيفا هاجروا إلى سوريا ولبنان ، وفى بعض الروايات أن المهاجرين تجاوزوا الأربعين ألفاً وبعضهم رفع الرقم إلى ثمانين ألفاً . وقد قيل لنا إن بعضهم هاجروا إلى مصر لكى تتحمل مصر تبعتها من هذه النكبة . أليس مؤلماً مفزعاً أن يفرّ أهل الدار منها ، وأن الضيوف المغتصبين يبقون فيها فيستولون على جميع ممتلكات العرب كما فعل بنو إسرائيل يوم « جرجرهم » موسى إلى أرض كنعان فنهبوا فرش الكنعانيين وحللهم وطناجرهم الخ — التاريخ يعيد نفسه . وإذا كانت الدول العربية لا تنقض بكل قواها على تل أبيب من جميع النواحى ، ويد كونها دكاً ليضطروا اليهود أن يخلوا حيفا لكى يأتوا لإنقاذ تل أبيب رغم أنوفهم — إذا لم تفعل الدول العربية كلها هكذا فى وقت واحد استعجل اليهود وغزوا يافا ثم القدس وسائر مدن فلسطين ، ثم انتقلوا إلى عمان فإلى دمشق فإلى بيروت فإلى مصر ، إلى جميع ممالك العالم ، وحينئذ يصح حلم الصهيونيين .

إن ما يتظاهر به اليهود فى حيفا من الإنسانية نحو العرب إنما هو مكر فلا تصدقوه . لا يخرجون عن طبيعتهم ، فحذار منهم !

نقولا الحداد